

بسهولة نامة التأخر الرواقي لبلاد الإسلام، وتدهور الحكومات الغائمة على هذه البلاد، و « انعدام الفكر » في تلك الشعوب التي تخضع لهذا الدين فقط في ثقافتها وفي تمليمها، لأن الطفل المسلم حتى العاشرة أو الثانية عشرة من عمره يلحظ فيه نوع من الذكاء؟ وبجأة عند ما ينتبه إلى تمليم دينه، تأخذ نزعاً صوفية تنتقل به إلى نوع من الاغماء العقلي كنتيجة لتلك النعرة الجنونية : ان الاسلام هو الحق والحق وحده . لهذا يشعر المسلم في أعماق نفسه بنوع من الاشترازال لتعلم والعلم، وكذلك لفكرة الجنس والقومية لأن الإسلام يرفع الفوارق بين الأمم ^(١) »

ثانياً - يقول رينان ما ترجمته « إذا كانت في الحضارة الاسلامية علماء وفلاسفة ، وكانت هي أثناء عدة قرون سيدة الغرب المسيحي ، وإذا وجد حتى عهد ابن رشد تراث فلسفي يسمى تراناً عربياً « لأنه كتب بالعربية » ، فكل هذا في واقع الأمر كان تراناً يونانياً فارسياً أو بالأصح يونانياً، لأن المتصر الأساسي فيه أقبل من بلاد اليونان . إن الفلسفة وجدت دائماً في بلاد الاسلام ولكنها بعد عام ١٢٠٠ طفت عليها الموجه الدينية وقضت عليها ، وساد بعد ذلك علم « النجوم » لأنه وسيلة لتجديد أوقات العبادات ^(٢) »

ثالثاً : يقول رينان ما ترجمته « حركة الترجمة المعجبية التي وجدت إبان ذلك كانت كلها من وضع الفرس والنصارى ، واليهود والخرانيين ، والاسماعيليين ، والسلميين الذين ماروا على دينهم ، وهذه الحركة لم تلتق من علماء الاسلام إلا كل اضطهاد ، لأن الاسلام في واقع الأمر يمادى دائماً العلم والفلسفة ، وانتهى بالقضاء عليهما . الاسلام صارم يتحكم في العبد وفي دنياه وفي آخرته ، هو ذلك القيد الثقيل الذي لم تصب بمثله الانسانية في تاريخها... لا يمكن أن نطلب من العلم ولا من الفلسفة احترام الاسلام ، كما لا يمكن أن نطلب من المكتشفات الحديثة والعلم الحديث احترام رجال الدين عامة ^(٣) »

(١) أنظر كتابه « مقالات ومحاضرات » صفحات ٣٧٦ و ٣٧٧

(٢) أنظر في نفس المحاضرة وفي نفس الكتاب التقدم ذكره صفحات ٣٧٨ و ٣٨٦ و ٣٨٩ و ٣٩٠

(٣) أنظر نفس المحاضرة في كتابه « مقالات ومحاضرات » صفحات ٣٩٢ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦

أهمية الترجمة ومكانتها في التاريخ

٢ - الترجمة في الاسلام

صفاتها وفهمها في أوروبا

للأستاذ عبد العزيز عزت

نظرة رينان

وتتلخص آراء رينان ومدرسته في فهم التراث الإسلامي الذي بنى على الترجمة في القرن التاسع الميلادي في ثلاثة أفكار يجدها القاري في المحاضرة التي ألقاها رينان بباريس عام ١٨٨٣ (٢٩ مارس) ، وعنوانها « الإسلام والعلم » ، والذي أوحى إليه هذه المحاضرة هو مرور الشيخ الأفغاني بباريس في ذلك الحين . فرينان نفسه يقول في كتابه « مقالات ومحاضرات » صفحة ٤٠٣ « منذ شهرين عرفت الشيخ جمال الدين بفضل مساعدنا الفاضل المسيو غانم ، وقليل من الناس تركوا في نفسي أثراً كآثره . ان مناقشات المتددة معه هي التي دعتنى أن أجول موضوع محاضرتي عن العلم والاسلام » هذه المحاضرة رد عليها الشيخ الأفغاني بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٨٨٣ في جريدة الديبا وعقب على هذا الرد في اليوم التالي رينان في نفس الجريدة :
أولاً - يقول رينان ما ترجمته : « يمكن أن يقرر الانسان

وأصحابه ويسخر منهم ويتجاهم ، ويحملهم على سراب وعمر ، ويضطرم بين خطي خسف في أحكامه على الرافعي ، ويخبرهم أن يختاروا للرافعي طرفاً من طرفين بحسب أنه يلزمهم شناعة من شناعته التي سماها أحكاماً على الرافعي . وستنتج فيما لا يحب ، لاكرامة للأستاذ الجليل أو استجابة لدعائه ، بل ليط الأذى عن نفس مطمئنة لحقت بالرفيق الأعلى راضية مرضية

ولولا أن يقال هجاً نيراً ولم نسمع لشاعرهم جواباً

رغبنا عن هجاء بني كليب

محمود محمد شاكر

الرد على نظرية رينان

أولاً - إن ما يأخذه رينان على بلاد الإسلام من تأخر لا يمكن أن يرجع إلى الإسلام ومبادئه ، لأن هذا الدين وهذه البدايات كانت في يوم ما من أيام التاريخ وسيلة للانتشار والحضارة والتقدم أثناء ازدهار الإسلام خاصة في عهد الرشيد والمأمون وهو ما يشابه عهد شارلمان في أوروبا ، وأن هذا الانتشار وهذا التقدم كان له الأثر الطيب الذي لم ينكره الأوربيون أنفسهم خصوصاً في حركة الترجمة التي قام بها علماء اليهود الأعلام في أسبانيا وآباء الكنيسة إبان القرن الثالث عشر الميلادي ، وأن مرجع هذا التأخر يعزى في واقع الأمر إلى أسباب تاريخية محضة لا مذهبية هي : أن إغارة الترك والتار والمغول ، وهي أمم من «عجم» الشعوب بائسة في الفهم والحضارة ، قد عاقت تقدم الإسلام ومنعت ازدهاره (اقرأ فاجيري عن الإسلام) ، وبجانب هذا فإن الإسلام دين كسائر الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية ، فما يؤخذ عليه يمكن أن يؤخذ على هذه الأديان ؛ ومع ذلك فهو يتنازع عنها بأنه لا يمكن للباحث أن يعثر فيه على نص يحرم به العلم والتعلم كالذي نجده مثلاً في «الإنجيل» باب القديس بولس ، البند الخامس . ثم لا نجد في الإسلام قوة تتوسط بين الله والعبد تسيطر عليه باسمه تعالى كسيطرة الكنيسة إبان القرون الوسطى . وكذلك في العهد الحديث نجد فرقاً بين أن يطلع القارئ على ما كتبه شيخ الإسلام فضيلة الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي عن «الأخاء في الإسلام» - وقانون الكنيسة الصادر في ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٨ الذي به يحرم بيوس العاشر على أتباعه المساهمة في الحركة العلمية الحديثة ، واضطهاد روح التجديد في كل شيء .

ثانياً - أما أن تكون الثقافة الإسلامية في أساسها ثقافة يونانية ، فهذا ليس بعيب على الإسلام ، لأن المطلع على نهضات الأمم في التاريخ يقرر أن هذه النهضات بنيت دائماً على عنصرين أولاً : عنصر الإيمان الذي هو السبيل الوحيد للسيطرة على النزعات الجاهلية «لقطيع» البشر والوصول بهذا الجمع الحاشد من عباد الله إلى أبل الغايات الدنيوية والأخروية . وهذا لا يمكن

أن يتحقق إلا عن طريق الدين^(١) والثاني : هو عنصر العقل الذي هو السبيل لتهديب ملكات السادة من الناس ومن يتصدى للرياسة وهذا عن طريق العلم ، والعرب في هذا الباب أصل من الرومان والأمم الأوربية الحديثة أولاً : لأنهم خلقوا هجرة الإيمان بخاق دين «جديد» يمثل «عقريتهم الخاصة» وطابعهم الخاص وفرضوه على الناس بالخيار ، وهذا ما لم يصل إليه من تقدم ذكرهم من الشعوب . ثانياً : أنهم مهدوا خلق هجرة العقل وهم في ذلك مثل سائر الأمم وإنما فاقوم فقط في أن ترجمتهم كانت أكمل وكانت أصح ، وعن هذه الترجمة نقلت الترجمات اليهودية والنصرانية ، وعن هذه الترجمات الأخيرة خلق أرسطو من جديد في أوروبا إبان القرن الثالث عشر فكان «بداية» وثنية في وسط سادت فيه المسيحية بزعتها الصليبية ، وهذا مهد حرب العقل الحديثة بين باكون وديكارت من ناحية ، وأرسطو العربي المغرب من ناحية أخرى^(٢)

ثالثاً - أما أن يأخذ رينان على حضارة الإسلام أنها حضارة بنيت على عناصر خارجية كالفرس والنصارى واليهود... وهلم جرا ، فالتاريخ يحدثنا أن الحضارة المسيحية في القرون الوسطى بنيت أيضاً على مثل ذلك ، فالذهب الرسمي للتفكير في المسيحية هو مذهب للقديس توماس (اطلع على مکتوب الكنيسة الصادر في ١٤ يناير سنة ١٩٠٤) وهذا المذهب يتأثر بمذهب أرسطو وبني في أصله على حركة الترجمة في القرن الثالث عشر في باريس ، وزعيم هذه الحركة وأستاذ القديس توماس نفسه : هو القديس البر الكبير وهو ألماني الأصل وساعده في أبحاثه علماء اليهود في اسبانيا لأن علم العرب انتقل إليهم في ذلك الحين ، (اقرأ منك في كتابه «الفلسفة العربية واليهودية») ولهذا عندما يهتم الكرديتال مرسييه بإصلاح التعليم الكاثوليكي ضد حركة التجديد في القرن العشرين يقول حسب تعاليم الكنيسة بتعلم اللغة العربية حتى يقف المسيحيون

(١) اقرأ جوسان «نفسية الجموع البشرية»

(٢) اقرأ أستاذنا جلس بالكليج دي فرانس «زرعة الفلسفة في القرون الوسطى» وأيضاً «أثر فلسفة القرون الوسطى على فلسفة ديكارت» وأيضاً مقالة بوج «هل قرأ باكون الكتب العربية»

من برجنا الفلجى

في ورقة منفصلة بين مخلفات « بهوفن » وجدت هذه الأسطر الدائمة : « الحب ، ليس غير الحب ، هو وحده الذى يستطيع أن يجعل حياتك سعيدة . آه يا الهى ، دعنى أجدها أخيراً ، تلك التى فى مقدورها أن تدعم فضائلى ، تلك التى قد تسمح لى أن تكون زوجتى »

ومات بهوفن ولم يسمح له . أترى الطبيعة عدوة الفنان ، تضن عليه بما تمنحه للآخرين ؟ نعم . إنها لتقسو عليه ، وإنها لتنار منه أحياناً وتقول له فى لفتها الصامتة البليغة :

— أنت تطلب لى أنا أن أمنحك الحب ؟ لا ، لى أمنحه كل الناس إلا أنت . لى أمنحه أولئك الساكنين الذين لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً ؛ أما أنت فتستطيع أنت نفسك أن تخلق « الحب » . إنك مثل عبقرية خالفة . كل عملك فى هذا الوجود أن تصنع « الحب » وتمنحه الناس .

وهكذا تتخلى الطبيعة غالباً عن الفنانين العظيم ، وتركهم يبحثون سدى عن السعادة فلا يجدونها كما يجدها الآخرون ملقاة كالفلكة الناضجة ساقطة تحت الأشجار . إنما هى شئ بعيد ، كلما مدوا إليه أيديهم ابتمد عنهم وتركهم يائسين . عندئذ ينكبون طول حياتهم على كنوز نفوسهم وحدائقها اليانعة يستخرجون منها للناس فاكهة من ذهب وفضة ، تقصر الطبيعة أحياناً عن تقديم مثلها . ولكن الطبيعة تنظر إلى الفنان نظرة التشفى مع بسمة السخرية

— أفهمتى الآن ، وعلمت أن كلينا يعيش فى الحرمان ، وأن سر وجودنا أن نعطي ولا نأخذ ؟
فيقول لها الفنان فى نبرة ألم :

— نعم ، ولكنك أنت الطبيعة . أما أنا فأدى مسكين . إنك لا تتألمين ، أما أنا فأألم ؛ إذ أرى الحياة تزول من تحت قدمى ، ولم يسمح لى بمحظ قليل من الهناء الذى يسخر به على الآدميين على الآدميين ؟ ومن قال إنك منهم ؟ عند ما وضع على منكبيك رداء « العبقرية والتلوذ خلع عنك فى الحال بعض

نوفيس الحكيم

خصائص الآدميين :

فى أوروبا على وصول مذهب القديس توماس (إقرأ مکتوب الكنيسة الصادر فى ٢٧ مارس سنة ١٩٠٦) ، ثم إن العناصر الخارجية فى أى زمان وفى أى مكان هى قانون عام بين الأمم لتبادل الثقافة . فالآن الخبراء العالميون ينتقلون من وطن إلى وطن فى أرقى الأمم المتحضرة ، والجنود المأجورة أو المساعدة فى الحروب تفعل مثل ذلك ، وفى فرنسا مثلاً الآن كثير من زعماء الفكر من أصل أجنبى كالفيلسوف الخالد برغسون وكذلك مدام كريبه ، العلامة المشهور ميرسن ، بل إن أستاذ اللغة الفرنسية نفسها فى السربون (سيويه الفرنسى) من أصل خارجى وهو العلامة فرينينا ستروفسكى ، ومع ذلك فإن أحداً من الناس لا يمكن أن يشك فى أن هناك حضارة فرنسية قائمة وأن أثرها معروف فى العالم

وجعل القول أن رينان هذا رجل يؤمن قبل كل اعتبار بالمذهب الرسمى ، وهو مذهب « العلم » الحديث الذى يبني على المنهج التجريبي الرياضى فى العلوم الطبيعية ، ويسمى أن يجعل من علوم الإنسان الأدبية علوماً لا تقل دقة فى أبحاثها عن العلوم المتقدمة . وهذا الفهم فى نظر أتباع هذا المذهب يناقض فى أصوله ما ساد فى تاريخ البشرية من نزعات الفكر التى تناخص فى نظرم فى نزعة دينية قالت بالوثنية تارة ، وعبادة مظاهر الطبيعة تارة أخرى ، وبالتأليه تارة ثالثة ، ونزعة تجريدية خالصة يمثلها المهد اليونانى وهى تبنى كأساس على منطق أرسطو ، والفلسفة الاسلامية تتبع هذا المهد . لهذا خرج رينان على المسيحية ، ولهذا أيضاً اعتبر الترجمة فى الاسلام كتنقل حرفى أى الفلسفة اليونانية « مخطوطة » بحروف عربية ، وهذه الترجمة ما هى إلا ترجمة مؤلفات أرسطو « بالذات » ، وتعاليم هذا الفيلسوف هى « الوحيدة » التى سادت التراث الاسلامى من أوله إلى آخره ، وأن هذه الفلسفة لاقت الاضطهاد من علماء الاسلام لأن هذا الدين ضد حرية الرأى والتفكير ، فمداء رينان للاسلام وترجمته وفلسفته ، عداً يتعلق إذاً بعذبه العام الذى ساد فى فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر . لهذا لزم أن يضاف إلى ردود من عقب على كتاباته من المسلمين رد جديد ملخص يشتم من طبيعة الآراء والمعارف فى القرن العشرين .

عبد العزيز هزنت

عضو هيئة الجامعة المصرية لذكوراه الدولة.